

الجزء الأول

أولاً: آراء كبار علمائنا



## ١ - زويل والمنظور التفاوضي للقاعدة العلمية

شهد يوم الخميس الموافق ٢٠٠٥/٩/١٥ احتفاء عدد كبير من المصريين بكتاب عالمنا الكبير د. أحمد زويل بعنوان «عصر العلم». وهو كتاب من تقديم أدينا الكبير نجيب محفوظ. إذن فهو ذلك الكتاب الفريد الذي وقعه اثنان من قمم الحائزين على جائزة نوبل في العالم.. وهو يحتاج إلى عودة أخرى لتقديم قراءة في محتواه الهام.

أما في هذا المقال فسألقي الضوء على دلالات مشهد الاحتفاء بكتاب زويل، ثم نطل بعد ذلك على موضوع «القاعدة العلمية» ذلك الموضوع الذي يمثل أهم المصطلحات التي يتضمنها خطاب زويل الموجه للمجتمع المصري.

فبخصوص دلالات مشهد الاحتفاء بكتاب زويل، نجد أن هناك عينة ممثلة للمجتمع المصري قد توافدت حيث كان هناك كان حشدا من المثقفين والإعلاميين والدبلوماسيين وأساتذة الجامعات والشباب.. لقد أراد الجميع أن يرسل برسالة وكأنها «لا بد أن نشارك في ذلك الاحتفاء بالعلم وبهذا العالم الفذ».. وكأنها رسالة للتعبير عن ذلك الشوق العارم لدى هذه العينة الممثلة للمجتمع المصري لإعادة الاعتبار للعلم والعلماء.. نعم لقد حان الوقت - وإن جاء متأخراً للغاية - لكي نضع العلم على قمة أولويات التحرك السياسي والمجتمعي في المرحلة الراهنة والمقبلة لتحديث مصر والانطلاق بها إلى الآفاق التي تليق بهذا الوطن الغالي المعطاء دائما.. وإذا أشرنا إلى ذلك البعد المجتمعي وتفاعلات المجتمع المصري مع ما يثيره التألق العلمي لعالمنا الكبير وما يثيره كذلك خطابه الموجه للمجتمع المصري، فإنه من الإنصاف الواجب أن نشير إلى المقدمة المتميزة للأستاذ أحمد المسلماني، والتي وردت في الكتاب بعد مقدمة زويل ومقدمة نجيب محفوظ وجاءت بعنوان «مقدمة المحرر»، وهي تمثل جهدا مكثفا وأوليا للإحاطة بدلالات ما كتبه المصريون عن عالمهم الكبير أحمد زويل، وعن مداخلات لهم معه حول خطابه عن القاعدة العلمية.. وكذلك تضمنت تلك المقدمة بعض ما كتب في وسائل الإعلام الدولية عن زويل.. وأظن أن تلك المقدمة تعد بمثابة نواة جيدة لدراسة مستفيضة لتحليل مضمون ما كتب عن أحمد زويل، خاصة في إطار جميع ما كتب.. وهنا سنجد عدة خطابات تحتاج إلى تناول دلالاتها بالتحليل ونحن في سبيل فهم ما يمكننا وصفه بـ «الخطاب المصري عن تفعيل القاعدة العلمية».

فلقد استمعت إلى د. زويل في برنامج طويل في ٢٠٠٥/٩/١٤ على إحدى القنوات الفضائية.. وأجده قد كرر من خلاله وباستياء (مستحق) أسلوب «التكسير

وهدم النجاح» وأن ذلك التكسير قد «أرهقه وتعب منه» .. وهنا إشارة واضحة لخطاب سلبي قد ترسخ مع الأسف في تعاملاتنا الثقافية يمكننا تسميته بـ «خطاب التكسير»، كما تكررت مقولات أحمد زويل العديدة عن طبيعة الواقع المتقدم ومراكز الإشعاع العالمى، كما تكرر الخطاب عن الإعاقات أمام إنشاء وتفعيل مثل هذه المراكز، ولا شك أن من المهم أن تكون خبرة تفاعلات أحمد زويل مع خطابات البيروقراطية والجمود وعدم تفعيل القاعدة العلمية كما ينبغى موضع الدراسة والتحليل للاستفادة وللاستئناف.. أى استئناف الجهود لتفعيل القاعدة العلمية المصرية بالمستوى المطلوب للنهوض المستوجب.. ولكن لا يمكن أن تقتصر مثل هذه الدراسة على تفاعلات أحمد زويل فقط، فهناك عدد كبير من علماء مصر الأفاضل من جميع التخصصات الذين صادفوا مثل تلك التفاعلات بصورة أو بأخرى وحاولوا التعامل معها.

لقد حان الوقت ألا يكون أحمد زويل وحده فى ذلك الميدان، بل لابد أن يقدم علماء مصر صورة الأداء الجماعى الذى يعطى زخما وعمقا، لكى تكون أجندة العلم وتفعيل ما أسميه «بالقوة البحثية المصرية»، وليكن ذلك فى حركة جماعية مجتمعية جديدة أسميها من باب الطرافة «حركة علمائكم» .. وأذكر هنا مقولة الإمام على بن أبى طالب عليه السلام «لو خاطبني عالم لغلبته ولو خاطبني جاهل لغلبني».. وهنا أنظر بنظرة من الاندهاش وأمام سطوة جهل نصوص البيروقراطية المصرية التى كان لها «الضربة القاضية» فى إفشال مشروع زويل إلى الآن ومن الجولة الأولى. فلقد ثبت أنه لم ينفع مع هذه البيروقراطية الطاغية كل إنجازات زويل وكل إنجازات علماء مصر من قبله.. بل كان لحركة البيروقراطية أكبر الفضل فى وجود ما يزيد على سبعمائة وخمسين ألفا.. أى ما يقرب من ثلاثة أرباع مليون مصرى من العلماء والباحثين الذين يقومون بأهم أعمال التنمية فى أوروبا وأمريكا والدول الغربية.. إنها قوة بحثية استطاعت الإسهام فى قيادة قاطرة التنمية فى دول العالم المتقدم.. ولكن شتتها تحالف حركة البيروقراطية مع كل عوامل «الطرد المركزى» إلى خارج الوطن.. ومعها ساهمت تلك «الحركة» البيروقراطية وحلفاؤها من تكبيد مصر خسارة فادحة مع كل الأسف قدرت من خروج هذه القوة الكبيرة بما يقدر بمائتى مليار جنيه مصرى، وهذه الأرقام مدونة من مصادر لها معقوليتها أوردتها إحصائيات أخرى فى كتاب لى بعنوان «الدور المصرى وتحديات المستقبل» .. لقد ذكر د. زويل فى البرنامج التليفزيونى شيئا طريفا يدل على البساطة الإدراكية القائلة التى تستخدمها «حركة» البيروقراطية والمخضرمين فى إدارتها.. حينما قالوا له ما معناه «أهلا بسيادة العالم الكبير.. نحن نحبك ونحترمك.. ونعطى لكم قطعة أرض

كبيرة لتقيموا عليها مشروعكم العلمى وعليكم أنتم الباقي.. التمويل والفلس وبناء المشروع.. .. وانتهى الأمر بهذه الضربة القاضية «البسيطة خالص» .. وهو الأمر الذى علق عليه د.زويل بأنه ليس تاجرا ولا يستطيع القيام بذلك.. إنه يستطيع فقط إعطاء عطائه العلمى وحشد الطاقات العلمية وتفعيل خلايا «مراكز التفوق»، لكى تنتقل من خلالها مصر نقلة نوعية نحو آفاق التقدم. إنه ليس مشروعا يحتاج «حتى أرض وخلاص».. وشوف حالك ياسيد.. أو فوت علينا بكره» .

### لقاء مع العالم الكبير :

فى مارس عام ٢٠٠١ تلقيت دعوة طيبة من سفيرنا حلمى بدير، سفيرنا فى الرياض، لحضور حفل غداء أقامته سفارتنا فى الرياض تكريما لعالمنا الكبير أحمد زويل الذى كان فى زيارة للرياض، وكنت متواجدا فى ذلك الوقت هناك.. ولقد كانت فرصة طيبة اتسعت للحوار التفصيلى، ولتناول موضوع فجوة الإدارة فى العالم العربى وما يتعلق بها، كان له مردوده المهم فى تأمل ما يتعين علينا أن نقوم به وبأسلوب الأولويات.. ولكن تاريخ د.زويل مع مشروعه العلمى وسعيه لتفعيل القاعدة العلمية فى مصر بالإضافة إلى تاريخ د.فاروق الباز، هذا العالم الجليل مع مشروعه العلمى وسعيه لتفعيل القاعدة العلمية فى مصر.. ومشروع د.أحمد مستجير عالمنا الكبير وسعيه لتفعيل القاعدة العلمية فى مصر.. وتاريخ عشرات، بل ومئات العلماء والباحثين عن تفعيل القاعدة العلمية.. كل هذه التجارب المعاشة تحتاج منا الإمام الكافى بها وأن نضع الدروس المستفادة على مائدة وأولويات النقاش والتفاوض الجماعى.. فتفعيل القاعدة العلمية فى مصر بحاجة ماسة إلى منظور تفاوضى جماعى يخوض فيه كل عناصر المجتمع المصرى، وهذا ما سأتناوله فى سلسلة المقالات القادمة بإذن الله تعالى وهو سبحانه ولى التوفيق.

## ٢ - فاروق الباز .. والمنظور التفاوضي

### للقاعدة العلمية

رصدنا في المقال السابق بعنوان «زويل والمنظور التفاوضي للقاعدة العلمية» العديد من النقاط المتعلقة بجهود زويل لإعادة تأسيس القاعدة العلمية التي تمثل قاطرة التنمية الحقيقية في كل دول العالم المتقدم، على أسس تتناسب وإيقاع هذا العصر ومتطلباته الصارمة والشديدة والتنافسية، في عالم لا يرحم المتقاعس المتجمد أو ما أسميه «بالمسحلف» الذي يتحرك بإيقاع السلحفاة أمام قطارات فائقة السرعة. وكما ذكرت، إننا لا ينبغي أن نترك الأمر لأحمد زويل فقط، وهو ذلك العالم الفذ الذي تعاملت البيروقراطية المصرية مع مشروعه العلمي الذي أراد تدشينه في مصر، بنفس أسلوبها المعروف والمدمر، والذي جعل نحو ما يقرب من سبعمائة ألف باحث وعالم مصري يرحل إلى بقاع أرض العالم المتقدم في أمريكا وأوروبا.. وخلف خسائر مادية طائلة تحملتها مصر، وتقدر على الأقل بما يقرب من المائتي مليار جنيه.. الأجندة الرئيسية التي نتبناها ويتبناها كل المعنيين بالعلم ورد الاعتبار له في واقعنا المصري العربي، هي انه «لا يأس» ولابد من الإصرار على تدشين القاعدة العلمية التي بدونها فلا قاطرة حقيقية وقوية للتنمية التي نريدها بالمستوى اللائق لمصر.. من هنا وكما رصدنا جهود زويل من أجل استيعاب الدروس المستفادة، نرصد هنا جهود علماء كبار آخرين في نفس الاتجاه، ونبدأ بعالمنا الكبير الدكتور فاروق الباز.. الذي يحمل نفس «الهم» الذي يحمله زويل، وكل منهما يريد لهذا الوطن المعطاء أن ينطلق إلى الآفاق العلمية التي يستحقها.. ولقد التقيت بالدكتور فاروق الباز في المغرب الشقيق في فعاليات مؤتمر حشد عددا كبيرا من المثقفين والإعلاميين والعلماء والباحثين، وجاء بعنوان «العرب بين تغيير الثقافة وثقافة التغيير»...والذي أقامته مؤسسة الفكر العربي.... ويمكنني من خلال ذلك اللقاء، ومن خلال تجميع لخطاب د. فاروق الباز بخصوص أهمية تدشين القاعدة العلمية الكبيرة في مصر، أن أرصد هنا تعبيرا محوريا مهمته البرنامج الثقافي العلمي الجديد 'NEW CULTURM SOFTWARE' ومتطلباته، حيث يذكر د. فاروق الباز أهمية إنشاء سلسلة من «مراكز التميز» أو «بؤر الإشعاع العلمي»، حيث يقول إن الولايات المتحدة مثلا عندما أرادت أن تدشن أولى خطوات إنشاء البرنامج الثقافي العلمي الجديد.. قامت بإنشاء الناسا (NASA) (وكالة الفضاء الأمريكية) حيث كان الهدف الأساسي قبل اختراق الفضاء الخارجي والوصول إلى القمر وغيره.. هو رفع حالة المناخ الثقافي العلمي من خلالها، على اتساع أمريكا وعرضها، فوجود خللا

للبحث تابعة لمثل هذه الوكالة للجامعات والمراكز المتعددة يعنى وجود علماء ينتشرون، على اتساع البلاد وعرضها، ويضخون علمهم لأكبر عدد من شباب العلماء، وتحظى هذه الخلايا بكل الاهتمام اللازم، فهى خلايا علمية عابرة لفجوات الإدارة والمعلومات وكل المشاكل الأخرى التقليدية.. واختيار «الفضاء» ليس ترفاً هنا؛ لأن فى إطاره تدرج معظم طاقات العلوم المختلفة حيث يوجد شعار معروف الآن وهو «من لا يتواجد اليوم فى الفضاء فهو خارج السباق» ...

(Those who are out of the space are out the Race)

... نعم «فعلوم الفضاء» ليس كما يفهمها «مكتب التنسيق» عندنا فى واقعنا الثقافى.. بل هى حزمة علوم متعددة وكثيرة ومتكاملة، ومنها علم اللغويات الحديث (Linguistics) كأحد أهم علوم عصر العالم المتقدم، حيث أتذكر جيداً حينما كنا ندرس فى جامعة جورجتاون كورس من مادة مسماة «بالتجميعمكس» وهى مادة علمية تتعلق بالسعر العلمى لفك شفرة أى لغة غير معروفة. أدركنا أن ذلك الموضوع من موضوعات حزمة العلوم التى تهتم بها وتدعمها الناسا (NASA)، حيث إن أمر التعرف على مخلوقات أخرى فى الفضاء أمر وارد، وأن الجهد العلمى لفك شفرة لغة غير معروفة له أهميته العلمية الكبيرة فى حالة وجود مفاجآت فضائية، أو حتى فى عدم وجودها «إلى الآن».. فلهذا الأمر دلالات وأهمية قصوى فى فهم أعماق عمليات التواصل ونظم الإدراك الإنسانى على كوكب الأرض ذاته.... إذن يمكننا إدراك ما المقصود بخلايا مراكز التقدم التى ينبغى ألا تكون مجرد «قطعة أرض فى مدينة السادس من أكتوبر» حتى وإن بنى عليها مركز علمى متميز.. بل هى سلسلة من مراكز التميز، يتم تدشينها فى وقت واحد على الاتساع الجغرافى لمصر كلها... ولعل الناظر للهند مثلاً أن يتعرف كيف نهضت الهند على نفس هذا النحو... والهند أقرب ما تكون إلى واقعنا الثقافى، فلقد بدأنا مع مسيرة استكملت الهند ولم نستكملها... وأتذكر بداية هذه المسيرة من جملة طريفة تعرفت عليها من شخص يوغسلافى ودود فى إحدى السفريات، حيث كنت أسأل عن طريق، وكانت إنجليزته ضعيفة، وكان شرحه كيف الطريق شاقاً، وعندما علم أننى مصرى.. وجدت بسمه كبيرة على وجهه، وقال مكرراً فى حماس بالغ :

«تيتو .. ناصر .. نهرو ...» وكررها عدة مرات. ندرك من هذه الجملة أننا بالفعل بدأنا مسيرة مشتركة مع الهند خاصة ... وكانت مسيرة سياسية قوية تمثلت فى القدرة على تشييد حركة عدم الانحياز .... وتؤكد للهند منذ ذلك الوقت، أكثر منا، أن القاعدة العلمية القوية أهم؛ لأنها الأكثر دعماً للنهوض الفعلى وتحقيق أشكال عديدة من مستويات الاستقلالية .. هى التى تضع هذه الدولة

وتلك على مربيات أفضل للقوة، مع فهم طبيعة التداخلات في هذا العصر المتشابك..

أعود بعد تلك المداخلة لخطاب د. فاروق الباز.. الذى أشار لمحنة الهند بصورة عابرة حينما ذكر بنبرة حماسية ولكنها حزينة مستنكرة للأوضاع.. إن أول اتصال به من خارج الولايات المتحدة بعد صعود نجمه العلمى الكبير كان من الهند.. حيث طلبوا منه الإسهام فى تفعيل البرنامج الفضائى الهندى... وأنه ومن خلال رحلته الطويلة ذكر فى برنامج مسجل بقناة الجزيرة عن مشواره العلمى «بأننا فى مصر اهتمنا بالشكل وليس بالمضمون الذى كان ينبغى أن نهتم به...» ولكن ورغم كل الإحباطات التى ولدتها وتولدها البيروقراطية المصرية الطاغية، والتى أطاحت بمشروع وجهود فاروق الباز كما أطاحت بجهود زويل... فإن كلا من العالمين الكبيرين لا يزالان يصران فى كل مناسبة على استمرار المحاولة... ولكن أحيانا نجد فى كل من خطاييهما - كما فى خطاب علماء مصريين آخرين - نغمة مما أسميه «بالزهق من الجمود والتسحلف» وهى نغمة تلقائية وصادقة ومعبرة عن الواقع الذى تتسم به عملية تحريك أو تدشين فكرة القاعدة العلمية بالمستوى الذى يحلم به كل عالم مصرى يريد العزة لهذا الوطن الغالى... فسمات الإحساس «بالزهق وكراهة التسحلف» جاءت فى خطاب زويل عندما قال : «أنا تعبت من أسلوب التكسير» وحينما ذكر «إننا اهتمنا ورصدنا كل الفلوس لمدينة الاعلام».. وحينما جاء دور «مدينة العلم» التى يحلم بها... اكتفينا بإعطائه «حقة أرض جرداء وطينا منه بأسلوب «ورينا شطارتك وهات أنت العلماء والفلوس وكل الدوشة دى».. أما سمات الإحساس المبرر «بالزهق وكراهة التسحلف» فى خطاب فاروق الباز، فأرصدتها من خلال ما قاله د. فاروق فى لقاء معه فى صباح أحد أيام سبتمبر عام ١٩٩٩، وسارعت بتدوينها حينما (طلعت) علينا مذيعة من مذيوعات «الريادة الإعلامية» بسؤال يبدو أنه قد استفز عالمنا الكبير حيث قالت له: «امتى يا دكتور حترجع بقى ويرجع كل علمائنا فى الخارج ويقعدوا فى بلادهم وينموها؟... فقال د.فاروق : «أرجوك سبيهم هناك... سبيهم.... يأخذون الخبرة.... لأن الخبرة هناك لى ولهم تحدث كل يوم.... كل يوم نحصل على خبرة جديدة... وكفاية فى الظروف دى أن نعود للوطن فى إجازات ومؤتمرات ومحاضرات لإنارة اهل الوطن بالخبرة التى كسبناها ونكتسبها بشكل مستمر ... أرجوك سبيهم ..» وللحديث بقية .

### ٣ - مستجير والمنظور التفاوضي

#### للقاعدة العلمية

.. نتحدثنا في المقالين «١»، «٢» السابقين عن مفاهيم محورية في خطاب كل من العالمين المصريين الكبيرين أحمد زويل وفاروق الباز بخصوص سعيهما المتكرر لتدشين القاعدة العلمية بالمستوى الذى يتيح لها أن تكون قاطرة التنمية الحقيقية، لتنتقل من خلالها مصر نقلة نوعية كبيرة تليق بتاريخ وعراقة هذا الوطن الغالى الذى لم تستغل به أو تفعل به كل طاقاته الكامنة، وخاصة طاقة علمائه أو ما أود أن أسميه «بالقوة البحثية العلمية المصرية» التى من المفترض أن تكون فى طليعة كل أشكال قوة الدولة.

ولقد تعرضت فى المقال السابق إلى ما أسميته «بنغمة الزهق من الجمود وكره أسلوب التسحلف القائم» فى كل من خطابى زويل والباز.. والكشف عن هذه السمات فى خطاب العلماء يعبر عما ينبغى لنا أن نعيه من دروس لتخطى ذلك الواقع الذى تجسده مقولات العلماء المبررة دائماً بعرض واضح وصريح عن طبيعة المشاكل وكونية حلها.. ونركز هنا على استقصاء ورصد هذه السمات؛ لأنه مفتاح الأجندة التفاوضية التى يتبناها العلماء ويناشدون من أجلها المجتمع المصرى ويوجهون الكلام لكل قطاعاته لاستنهاض طاقاته لعبور الفجوات القائمة بوعى متكامل الأبعاد وبحركة مجتمعية يقودها علماء هذا الوطن، والتى اقترحت فى مقالى بتاريخ ٩/٢٢ أن أسميها من باب الطرافة الجادة «بحركة علمائكم من أجل التنوير» أو «من أجل التغيير» فى مجال ما أسميه كذلك «بالإصلاح العلمى» على غرار «الإصلاح الاقتصادى».. فى هذا السياق أنتقل فى هذا المقال لتجربة أخرى لعالم مصرى كبير وهو د.أحمد مستجير، وهنا ننتقل من «علماء الخارج» إلى «علماء الداخل» والمقصود هنا تحديداً، هو هذه النوعية من العلماء الكبار من المعروفين على المستوى الدولى، ولكن ممن قرروا التفاعل فقط من على أرض مصر أساساً.. حيث إن هذا هو المجال الأول والأخير لهم.. ولاشك أن هذا القطاع من علماء مصر هم الأقدر - من المفترض - على قيادة التغيير والإصلاح العلمى وإصلاح الجامعات وتدشين القاعدة العلمية، وهم الأجدر بتوجيه الاهتمام بمطالبهم. ومن المفترض أن يتوجهوا لقطاعات المجتمع المصرى بخطاب جديد قادر على استنهاض طاقات هذا المجتمع نحو العلم وريادته فى جميع التخصصات.. من هنا أسجل تحفظى على أسلوب البعض فى واقعنا الثقافى، ممن تناولوا ما سمي «بظاهرة أحمد زويل».. فمع كل التقدير والاحترام وعميق الافتخار بإنجازات عالمنا الفذ أحمد زويل، وجدت نمطاً أتحفظ عليه

بل أرفضه ويرفضه كل من يريد التغيير والإصلاح العلمى على مستوى المجتمع كله.. وهو خطاب «الوحيد الأوجد».. و«المنقذ من كل الظلمات».. فكفانا أسلوب «الشخص الواحد» وهذا لايعنى أننا لاحتاج إلى شخصيات كبرى تستنهض هذا الواقع وتقوده إلى الأفضل، ولكن أن يتم النظر إلى «القائد» و «القائد الفذ أو التحويلي» حسب تعبيرات أدبيات القيادة على مستوى العالم من خلال منظومة تفاعلية متكاملة. وما أنتقده بخصوص بعض الكتابات عن ظاهرة زويل، هو ما عبر عنه زويل نفسه بقوله إن الفضل فى حصوله على جائزة نوبل يعود إلى فريق عمل كبير.. كان له أكبر التحية والعرفان من زويل فى أول ما صرح به عقب حصوله على الجائزة.. أعود هنا إذن لفكر الجماعة وفكر الانتماء للجماعة وفكر تفعيل طاقة الجماعة العلمية.. داخل الوطن وبالإمكانات المتاحة.. وهنا اعود لمسيرة عالمنا الكبير أحمد مستجير الذى يعرف قيمته الكبرى كل من تفاعل معه عن قرب، وخاصة فيما يتعلق بجماعته العلمية الفكرية.. أى جموع الباحثين الذين تتلمذوا على يديه ونهلوا من عطائه العلمى الكبير فى مجال الهندسة الوراثية. ولكن أعود هنا كى أرصد ملامح من خطاب أحمد مستجير بخصوص جهود وآراء العلماء فيما يتعلق بمحاولات تشييد القاعدة العلمية، وأرصد هنا نفس ملامح سمات «الزهرق من الجمود وكره التسحلف القائم»: ففى حوار للصحفى عزازى على عزازى مع عالمنا الكبير يذكر إن الوزراء القدامى جداً والجديد أيضاً يتبارون اليوم فى استخدام مفردات الخطاب العلمى المستقبلى، سواء فى الوزارات المعنية بالتطور التقنى أو المستفيدة منه.. حتى كاد الأمر يتحول إلى فوضى استهلاكية لشعار العلم والتكنولوجيا.. فالمسؤولون متفائلون كمعادتهم، أما أهل الخبرة والاختصاص من العلماء فهم متشائمون؛ لأنهم يعرفون الفرق بين الشعار والتطبيق.. وذكر عزازى إن د.أحمد مستجير، هذا العالم الفاضل الذى يعرفه علماء ومثقفو مصر، وهو من علماء الهندسة الوراثية المرموقين.. ذكر إن ميزانية البحث العلمى بحاجة إلى إعادة النظر.. وإن شلال العالم الكبير قد انهمر وإنه لم يقاطعه عندما سأل عن «روشة العلاج» لهذا الوضع.. فذكر أهمية تأسيس قاعدة علمية حقيقية، وعندما سأل عن برنامجه ومطالبه كأحد علماء مصر الكبار أجاب قائلاً.

(١) إعادة تنظيم الأكاديمية والبحث العلمى فى مصر على أسس متكاملة.

(٢) تهيئة مناخ الثقافة العلمية والبحث وبشكل سريع.

(٣) الاستثمار فى العلم، لأن عائده ماثت الأضعاف عن الاستثمار فى أى شىء آخر.

(٤) دعم الأستاذ الجامعى .

(٥) التحول من «الأقدام» إلى «الرؤوس» . لقد أضاف د.مستجير هذه المقولة إلى قائمة أجندته الإصلاحية كعالم يريد أن ينهض بالواقع الثقافى حين قال «هل أدفع للعلماء الكبار كى نحصل منهم على الخبرة كما تفعل الشركات عابرة القوميات لكى يساهموا فى النهضة العلمية؟ أم أدفع مئآت الملايين من الدولارات على مدربى كرة القدم كما هو الحادث مع كل الأسف!! ويضيف قائلاً: كرهت الكرة ولاعبها.. وأيقنت أن دخول عصر العلم والتكنولوجيا يلزم الخروج من «عصر الكرة» أو الانتقال من الأقدام إلى الرؤوس. ونعلق فنقول إنه لا بد لنا ونحن بصدد إدارة أجندة جماعية للتفاوض المجتمعى حول كيفية تفعيل القاعدة العلمية ورد الاعتبار للعلم والعلماء فى واقعنا الثقافى.. أن نتوقف طويلاً أمام ما قاله عالمنا الكبير د.أحمد مستجير.. فما قاله أصبح موضع احتجاج مجتمعى شديد ومبرر، خاصة فى أوساط علماء مصر.. فالحديث شبه اليومى عن هذا اللاعب أو ذاك ومرتببات بالملايين.. فهناك من لاعبى الكرة الكثيرون الذين «يتعاطون» فى مصر مبلغ المليون جنيه فى العام.. هذا أصبح خبراً عادياً.. هذا غير المدربين.. فأقل المدربين شأنًا وتواضعًا يحصل شهرياً على أضعاف مضاعفة مما يحصل عليه أستاذ الجامعة، أو أكبر علماء الواقع المصرى الذى ينبغى تغييره إلى ميزان العدل الإجتماعى، فليست هذه الطائفة فقط من المتعاطين للملايين، بل هناك طوائف أخرى فى المجتمع تتحدث بنفس الأرقام محدثة فجوة عميقة.. حتى إن جوائز البحث العلمى المحدودة عددياً ومادياً لاتقارن نهائياً ببرامج «من سيربح المليون» و «معنا صوتك» وما إلى ذلك. وللحديث بقية.

#### ٤ - خطاب «الفجوة الرقمية» و«القاعدة العلمية»

استكمالاً لمجموعة المقالات السابقة، التي نهدف من خلالها إلى استكشاف جوانب منظور التفاوض الجماعي المطلوب لتفعيل القاعدة العلمية في مصر من خلال الاستقراء الدقيق للخريطة الذهبية لما يتصوره ويريدّه خيرة علماء مصر، أ طرح هنا آراء على درجة كبيرة من الأهمية للصدیق العزیز وعالمنا الكبير د. نبیل علی، وهی آراء مكتوبة - علی رأی أدينا الكبير يوسف القعيد - «بحر القلب» - حيث إنها آراء مبنية علی خبرة أبحاث جسورة قدمها د. نبیل للمكتبة العربية، وكان آخرها بعنوان «الفجوة الرقمية : رؤية عربية لمجتمع المعرفة» حيث شاركه ذلك العمل أ.د. نادية حجازی «عالم المعرفة، أغسطس ٢٠٠٥»، والذي قصده كل من الكاتبين بالفجوة الرقمية، هو توضيح حجم الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية في التناذ إلى مصادر المعلومات والمعرفة، والقدرة علی استغلالها لأغراض التنمية المجتمعية بمعناها الشامل علی جميع الأصعدة المختلفة.

إن أهم ما يلفت انتباهنا في هذا العمل العلمی الجاد - بخصوص ما نقصده بتفعيل القاعدة العلمية - هو أن يكون الحديث عنها علی كونها كيانا ديناميكيا مترابطا يدخل إلى أعماق بنية مجتمعنا المصري والعربي، لينتشله من الجمود واللامنهجية والجزر المنعزلة ليعظم من الطاقات المبددة والمهدرة إلى الآن لتنتقل إلى آفاق تلحقنا بركب قطار التنمية العالمي السريع.

ولذلك فإن أهم ما يلفت انتباهنا ونوقف عنده في سياقنا هذا هو بنى الكاتبين إقامة تكتل عربي يتعذر من دون تأهل البلدان العربية، مجتمعة أو متفردة، لدخول مجتمع المعلومات، ومن هنا يقترحان «المدخل المعلوماتي» لتحقيق هذا التكتل كبديل للمدخل الاقتصادي أو الأمنی، اللذين نادى بهما البعض في الماضي، وكنقطة بداية مشروع الإصلاح العربي الذي لا بد أن يكون متكاملا ومتعاونًا .

ولتوضيح معنى الفجوة القائمة، فلا بأس أن تتم المقارنة مع ما نسميه بالتحدي الإسرائيلي لإدراك ما ينبغی علينا القيام به ففى «ص ٧٠» يرصد الكاتبان الفجوة فيما يلي:

١ - نسبة استخدام الإنترنت لعدد السكان في إسرائيل ١٦٪ حاليا، في حين تقل هذه النسبة عن ٣٪ في المتوسط العربي.

٢ - عدد المالكين للكمبيوتر يبلغ في إسرائيل ما يقرب من ٤٧ في كل مائة فرد في حين يبلغ هذا العدد ٤ لكل مائة في عالمنا العربي.

٣- تحتل إسرائيل المركز رقم ١٢ فى مؤشر الجاهزية الشبكية، فى حين تحتل أعلى الدول العربية، وهى تونس، المركز رقم ٣٤، تتلواها المغرب فى المركز رقم ٥٢، فالأردن فى المركز رقم ٥٧، فمصر فى المركز ٦٥ .

٤- فيما يخص العنصر البشرى ذا الأهمية القصوى فى اقتصاد المعرفة، يكفيننا الإشارة إلى أن الناتج المحلى الإجمالى للفرد فى إسرائيل يفوق نظيره فى البلدان العربية مجتمعة، والسعة فى ازدياد مستمر إلى الآن.

٥- فيما يخص النشر العلمى، يبلغ ١١,٧ بحث منشور لكل عشرة آلاف فى إسرائيل، بينما يبلغ هذا المعدل «ثلاثة» بحث لكل عشرة آلاف فى العالم العربى.

٦- يبلغ عدد الكتب المترجمة إلى العبرية «سنوياً» مائة كتاب لكل مليون إسرائيلى، فى حين يبلغ عددها بالنسبة للعالم العربى ٣ كتب تقريباً لكل مليون عربى.

ويضيف الكاتبان أن «الأخطر من هذه المؤشرات الكمية، هو المعايير النوعية وتقييم القدرات الكامنة لمؤسسات العلم والتكنولوجيا والمعلوماتية الإسرائيلية التى أصبحت كالأخطبوط المعلوماتى، ففى «ص ٧٨» يذهب الكاتبان إلى القول بأن إسرائيل قد أدركت منذ زمن بعيد أهمية المعلومات كمورد رئيسى للتنمية، حيث كان إنشاء أول مصانع الأسلحة قبل إعلان الدولة الصهيونية فى كنف حركة الهاجانة الإرهابية فى عام ١٩٣٣ فى إطار توجه مستقبلى من العسكرى إلى المدنى والعكس، وقد وصل اليوم إلى الآتى:

(أ) الحصول على حق النفاذ إلى المعلومات العلمية والتكنولوجية لدول كبرى ومن أمثلة ذلك:

\* حق النفاذ إلى الشبكة القومية الأمريكية للمعلومات العلمية والتكنولوجية NATIS .

\* حق النفاذ إلى مؤسسات البحث الأمريكية الحساسة.

\* السماح لإسرائيل بالمشاركة كمراقب فى أعمال لجان البحث والتطوير للاتحاد الأوروبى .

\* اتفاقية تفاهم مع روسيا تعطيها حق النفاذ إلى جميع الأسرار العلمية والتكنولوجية الروسية المدنية والعسكرية.

\* دعوة العلماء البارزين لإلقاء محاضرات وعقد ندوات علمية فى إسرائيل منهم على سبيل المثال - أبو القنبلة الذرية الهيدروجينية وباقة من العلماء فى جميع التخصصات، ومن بينهم العالم المصرى أحمد زويل .

النقطة الواضحة هنا أن القاعدة العلمية لا يمكن أن تكون مجموعة من التوصيات، أو كما صرح أحد المسؤولين التركيز على علوم بعينها .. أو كما صرح آخر بأهمية تدبير التمويل للبحث العلمي .. الأمر بالطبع يحتاج إلى نظرة إستراتيجية ومنظومة من التحركات المتكاملة تبدأ من الإنسان والاستثمار في مواردنا البشرية لتكون القاعدة العلمية هي حركة مجتمعية على جميع المستويات التي تمكننا من إدراك واقعنا واستنهاضه للآفاق المطلوبة، ونحن نملك طاقة الحركة ونحتاج إلى الروح النضالية، مع الأخذ بأسباب عبور الفجوات الرقمية وغيرها.. والله ولي التوفيق وهو وحده المستعان . وللحديث بقية .

## ٥ - «القاعدة العلمية»

بين «غيبوبة الماضي» و «ثقافة المستقبل» :

## كيف يرى أحمد شوقي زوايا الملف ؟

يمكننا رصد عشرات الأمثلة لتفاعلات تجرى فى وطننا العربى على اتساعه تعبر عن فكر «غيبوبة الماضي» .. وهو ذلك الفكر الذى يتجسد فى قوانين ولوائح وطغيان أعراف خاطفة وبالية تم ترسيخها بأسلوب تسلطى تلقائى فى واقعنا الثقافى .. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن قوانين إدارة الامتحانات فى جامعاتنا أو ما يسمى «بالكنترول» وضعت ولم تتطور منذ أيام المندوب السامى البريطانى .. وهو أمر صارم يمثل حالة تفاعلية لا يمكن السكوت عليها، وسوف نتناول هذا الأمر فى سياق تفصيلى قادم فى نهاية هذه السلسلة من المقالات عن عوائق تشييد ثقافة القاعدة العلمية المطلوب أن تنتقل مصر من خلالها إلى آفاق تستحقها.

كما يتجسد «فكر غيبوبة الماضي» فى ملامح أخرى عديدة، تمثل النقيض «لثقافة المستقبل» .. وكما نرصد السلبيات لمواجهتها ونجاوزها نرصد كذلك الإيجابيات .. فمعظم علماء مصر وخبرائها وباحثيها لا يقفون مكتوفى الأيدي .. بل يسعون بقدر طاقاتهم الممكنة لكسر أطر الأعراف البالية، للانطلاق إلى آفاق «ثقافة المستقبل» ومحاولة الوقوف على مربعاتها المستنيرة، من أجل السعى الإيجابى للملاحقة ما يحدث من تطورات غير مسبوقه وذات إيقاع لا يجدى معه «تسحلف» فكر «غيبوبة الماضي» .. ومن هذه الجهود المثابرة والمتفانية التى تبعث على الكثير من الأمل والثقة التى نحن فى أمس الحاجة إلى بثها فى ظل أوضاعنا الراهنة فى هذا السياق، نرصد هنا الجهد الدؤوب والتميز على مدى سنوات طويلة لعالم الوراثة المرموق أ.د. أحمد شوقي، الذى فتح بوابة مهمة للمستقبل فى مصر بإشرافه وتشجيعه الكبير لخيرة الباحثين والعلماء المصريين للإسهام العلمى فى مشروعات لكراسات مستقبلية وعلمية تأخذ شكل الاستمرارية لاستشراف المستقبل وربطه بتحليل الواقع والسعى لاستنهاضه وربطه بعملية صناعة القرارات المصيرية فى جميع أعمال التنمية، وبشاركه فى تفعيل هذا المشروع الكبير الذى صدر عنه ما يزيد على المائة والعشرين عملا، الناشر المتحمس والأستاذ الفاضل أحمد أمين، ولعل من المهم أن نعود ومن خلال مثل هذه الأعمال للتركيز على المنظور التفاوضى لتدشين القاعدة العلمية ورصد أوجه الخلل القائمة لتعميق الشعور بأهمية تجاوزها .. وهنا نستكمل بعض الرؤى المهمة للدكتور نبيل على، والتى بدأنا فى رصدها من خلال

كتابه المهم عن «الفجوة الرقمية» في المقال السابق (الأخبار ٣/١١/٢٠٠٥)، ولكن نرصد آراء له هذه المرة من خلال ما ورد في إحدى الكراسات العلمية التي يقدم لها الدكتور أحمد شوقي - حيث يشاركه الرأي فيما ذهب إليه - والتي جاءت بعنوان «تكنولوجيا المعلومات وتطور العلم» (المكتبة الأكاديمية ٢٠٠٥) .. يحدد د. نبيل في ص ٤٤ أسباب تخلف القاعدة العلمية فيما يلي من نقاط:

- ١ - وجود سياسات علمية تفتقد الواقعية، والخطط الإجرائية، كما تفتقد مؤشرات قياس مدى التقدم في تنفيذها.
- ٢ - تدنى أداء مؤسسات التعليم الرسمية.
- ٣ - ضعف الموارد الحكومية المخصصة للإنتاج العلمي، وعزوف القطاع الخاص عن الاستثمار في مجالاته.
- ٤ - غياب التراكم المعرفي، وضعف الحوار بين الفصائل الفكرية المختلفة.
- ٥ - وجود بحوث أكاديمية دون منتجات استثمارية.
- ٦ - ترقيات أكاديمية دون ارتقاء علمي.. وأتذكر هنا ما ذكره عالمنا الكبير د. أحمد زويل بأن الترقية في جامعات التقدم لا يشترط فيها «عدد البحوث» كما هو عندنا، ولكن الشرط والمعيار هو «النوعية» والأثر الذي يحققه بحث بعينه وليس بالعدد، كما أتذكر هنا سؤالاً استعجابياً استهجانياً على رسالة دكتوراة من أحد الأساتذة، لأن عدد صفحاتها كان في حدود «مائة وخمسين صفحة فقط»!! في حين أن أطروحة بعض كبار العلماء في الخارج كانت أقل من ذلك بكثير.. ولم يرد أصلاً سؤال عدد الصفحات ليكون أول سؤال اهتم به ذلك الأستاذ!! ولكنها هيمنة ثقافة الكم المهيمنة مع الأسف.. وليس الكيف.. نعود إلى نقاط د. نبيل، الذي يذكر في نقطته السابقة وجود نشر علمي ضامر لا يرى معظم النور إلا من خلال المنافذ المحلية، نهرياً من غربة الترشيح العلمي لمنافذ النشر الأجنبية.
- ٧ - وجود إبداع عربي مكبل، برغم تميزه، يواجه العقبات في توصيله جماهيرياً وتداوله عربياً.
- ٨ - وجود حصاد من بحوث الدراسات العليا مكس على الرفوف يلتقط الأتربة، وما أكثر ما فيها من نقل وتكرار وتشبه بالعلم وتزييفه أحياناً.
- ٩ - غيبة المشاريع البحثية المشتركة بين البلدان العربية، وعزوف شبه تام عن المشاركة في الموارد، سواء على المستوى البشرى أو المادى أو المعلوماتى.

١٠- حصيلة ضخمة من اللقاءات العلمية تشكو من الخواء الفكري، وعجلة الإعداد، ونقص الحضور، وغزارة التوصيات دون متابعة جادة ونتاج فعلي ملموس.

١١- وجود فجوة متسعة بين نتاج التعليم وسوق العمل، وكم تعليمى بلا كيف، وتلقين دون تحصيل، يؤكد ذلك تراجع مواقع البلدان العربية إزاء بلدان المقارنة عند الأخذ فى الاعتبار الناتج التعليمى.

١٢- هجرة متنامية للعقول العربية فى المجالات العلمية المختلفة، وتقطع الجسور بين العقول المهاجرة، والعقول الباقية بأرض الوطن.. عند هذه النقطة نتوقف لنعود ونرصد من مصادر أخرى من القاعدة الكبيرة لعلمائنا من الداخل والخارج موضوع كيفية ربط قاعدة علمائنا بالداخل بقواعد علمائنا بالخارج من خلال خطاب شبكى تواصلى فعال.. فهذا الربط هو قصة نجاح الصين وماليزيا والهند.. وهذا ما ينبغى أن يكون لمصر، كذلك ما سنتناوله فى مقالنا القادم بإذن الله تعالى، والله ولى التوفيق.

وللحديث بقية

## ٦ - منظومة رمضان أكتوبر ٧٣

## والمنظور التفاوضى للقاعدة العلمية «٤»

تعرضنا فى المقالات السابقة لآراء علمائنا الكبار من أمثال أحمد زويل، وفاروق الباز، وأحمد مستجير كمجرد مدخل تحليلى لهذه الآراء بخصوص شكل القاعدة العلمية التى ينبغى تفعيلها لتكون قاطرة التنمية الرئيسية التى تنقل مصرنا الغالية إلى آفاق التقدم التى تستحقها منا.. وكذلك تعرضنا لأهم العوائق المتمثلة فى البيروقراطية وفجوة الإدارة وضعف الفكر التسويقى على مستوياته المتعددة.. وإذا كان ما ذكرناه هو تقييم العلماء لواقع ثقافى نريد استنهاضه واستنهاض كل همم المعنيين به والتغلب على السلبيات القائمة التى لاشك أنها لاتزال الحائل الكبير والفعلى لتفعيل القاعدة العلمية فى مصر.. فكثير من الآراء التى ذكرتها فى المقالات السابقة وأكثر منها بكثير من خلال تفاعلات أخرى لم ترد بتلك المقالات، تخلص إلى مفردات خطاب اليأس والإحباط المبرر على غرار «سيبوا علماءنا اللى فى الخارج فى حالهم..!» أو «أنا تعبت من جو التكسير».. أو «مفيش فايدة فى البيروقراطية.. أنت مش بتقول إنها شتتت أكثر من سبعمائة وخمسين ألفا من الباحثين والعلماء المصريين إلى خارج الوطن ليقوموا بأهم أعمال التنمية فى الدول المتقدمة.. طب عايز إيه أكثر من كده؟ مفيش فايدة..!!» إلى آخر كل تلك الحوارات التى تبدأ بمقولات اليأس من الإصلاح العلمى والجامعى، والإنتهاء إلى الجمود ومحللك سر أو فعلاً «للخلف در»...

نريد ونحن فى هذا الشهر الفضيل، والذى يتزامن فيه رمضان بأكتوبر، أن نتوقف لحظة امام ما أسميه بمنظومة حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣، لنستنهض الهمم ونستأنف العمل الشاق الذى لا يعرف اليأس، والنظر إلى منظومة أكتوبر رمضان من زاوية السمات التفاعلية الإيجابية للتعامل مع أصعب الظروف من خلال الأخذ بالاسباب، والانطلاق من القواعد المقصدية للدين وللأمة، وكذلك لنستقى دروسا تتعلق بجهدنا لفهم وتعظيم المنظور التفاوضى لتفعيل القاعدة العلمية نحو الآفاق المنشودة. فما هى سمات التفاعل التى دشنها منظومة رمضان أكتوبر؟ لقد تمثلت هذه المنظومة فيما يلى :

١ - إن منظومة رمضان أكتوبر ١٩٧٣ لم تكن فقط مجرد ما يقرب من حوالى ٧٣ معركة، كما يقول ذلك المشير الراحل عبدالغنى الجمسى فى البر والبحر والجو.. هذا من المنظور العسكرى الذى حققت من خلاله قواتنا الباسلة أعظم انتصاراتنا الحديثة.. ولكننى أرى فى هذه المنظومة منظومة تنتمى لكل المصريين بكل

قطاعاتهم.. وهى تمثل جوهر ثقافة التفاوض الجماعى البناء، وهى شاهد أننا - وعندما تتوفر لدينا إرادة التحدى ويتم حشد الطاقات على مستوى المجتمع كله.. ويكون العلم والقاعدة العلمية محور الاهتمام المستوجب، يكون النصر حليفنا بإذن الله. ولعلنى أسترجع هنا مقولة لها طرافتها فى الاستعداد للحرب قالها الرئيس السادات «أنا لن أضحي بأبنائى فى معركة غير متكافئة.. أنا حاضع «الإليكترونة» فى يد كل مقاتل ثم اقول له.. حارب بالعلم والإيمان.. و «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا..» وبالفعل حدث ما قاله القائد ونفذه كل من شارك فى منظومة رمضان أكتوبر.. ولقد كشفت الوثائق القليلة التى أفرج عنها عن حرب أكتوبر رمضان بأن القوات المصرية والسورية قد فاجأت العدو بالمستوى التقنى المرتفع.. ولقد كانت معارك الإعاقة الاليكترونية وإعاقة الإعاقة الإليكترونية أحد المحاور الرئيسية فى معارك رمضان أكتوبر.. مع كثير من سمات أول حرب إلكترونية فى التاريخ الحديث.

وأذكر أن أحد أهم عناصر الإعداد لهذه الملحمة المصرية الخالدة، هى وجود أكثر من نصف مليون مقاتل من حملة المؤهلات العليا فى جميع التخصصات.. أى ممثلى القاعدة العلمية هنا، حيث يتم إصدار الأوامر إليهم للانتقام لهزيمة ١٩٦٧، ورد الاعتبار لهذا الوطن الغالى، فساهموا أكبر الإسهام فى تغيير اللغة من لغة الاستجداء للانسحاب إلى إجبار العدو عليه من أرضنا الطاهرة، فمكنوا بذلك القائد الأعلى الرئيس السادات فى ذلك الوقت من أن يقول : «لقد أفقدنا العدو توازنه فى ست ساعات» ذلك بعد ان ملأت إسرائيل الدنيا بنغمة «حرب الأيام الستة..» فكان ذلك هو ردنا.. وقال كذلك : «إن حرب أكتوبر رمضان ١٩٧٣ هى آخر الحروب..» وعندما قال ذلك السادات هاجمه مهاجموه على طول الخط بأنه يصادر على المستقبل مع عدو شرس لا يتورع عن شن حرب جديدة ضدنا.. ولكن المشير الجسمى (رحمه الله) قد أنصف الرئيس السادات (رحمه الله) بقوله فى كتابه عن حرب أكتوبر، بأن مقولة السادات «حرب أكتوبر هى آخر الحروب..» كانت فى الأساس رداً على مقولة موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى حين ذاك.. الذى قال «إن حرب يونيو .. ١٩٦٧ هى اخر الحروب مع العرب !!» .

إن الحديث عن كيف ساهمت منظومة أكتوبر فى تدشين قاعدة علمية متميزة فى حينها، لم يتطرق له الدارسون بالقدر الكافى إلى الآن.. فعلى سبيل مجرد الأمثلة لا الحصر.. كتبت رسالة دكتوراة ونوقشت عن تأثير الرياح على المعابر المائية.. وكانت نتائجها جاهزة، وغيرها عند عبور أصعب مانع مائى فى تاريخ العمليات العسكرية فى أكتوبر رمضان ١٩٧٣

## ربما يمكن ..

## استثمار البحث العلمي الجارى

أتابع بكل التقدير سلسلة المقالات التى ينشرها الأستاذ الدكتور حسن محمد وجيه كل خميس بالأخبار، حول تفعيل القاعدة العلمية، والتى أورد فيها آراء بعض علمائنا البارزين من الدكاترة : فاروق الباز، وأحمد زويل، وأحمد مستجير، ونبيل على وأحمد شوقي.. فضلا عن سلسلة مقالات الزميل محمود عارف عن البحث العلمى فى الجامعات، وكلها تصب فى تمتين وتحسين البنية الأساسية للمجتمع العلمى، وإنتاجه الضرورى ضرورة مطلقة لتطوير حياتنا، وتحديث وتعظيم إنتاجنا فى جميع المجالات، للحاق بركب التقدم الإنسانى.

وإن كنت سأجتزئ من هذا السياق الرئيسى تفرعة ذات طابع عملى تهتم بما هو عاجل ..

\* \* \*

فعلماؤنا وباحثونا ينتجون يوميا تقريبا أبحاثا ودراسات، سواء فى رسائل الماجستير والدكتوراة، أو أبحاث الترقية أو تقارير تقدم فى المراكز البحثية، أو حتى التنفيذية، والكثير من هذا الإنتاج العلمى الجارى، يكون ذا نتائج تطبيقية : اختراع شيء جديد، أو تطوير شيء موجود. تحسن إنتاج معين كمياً أو نوعياً، تجنب فاقد فى إنتاج أو نشاط معين، أو تحويل هذا الفاقد إلى شيء نافع، حل مشكلة من أي نوع ..

هذا الإنتاج العلمى لا يجد حتى الآن السبيل إلى الاستفادة منه أو من يهتم به أصلاً، ويصبح أمره رهناً بمجهود صاحبه الشخصى، يدور به هنا وهناك دون أن تساعده أي جهة، بما فى ذلك الجهة التى ينتمى إليها، وإذا تصادف أن وصل ببحثه إلى أحد الصحفيين أمثالنا، وتحمسنا له ونشرنا عنه، فإن أحداً لا يسأل عنه ولا عنا. وينكفى الباحث الذى كان يملؤه الحماس على نفسه، ويصبح جهده وجهد من تحمس له مفقوداً !.

وهكذا ضاعت ولا تزال تضيع على الوطن مئات، بل آلاف الفرص لحل مشاكل نشكو منها كل يوم، بينما علماؤنا وخبرائنا لديهم الحلول لها .. لكن لا أحد يستمع إليهم .

والسبب الرئيسى لهذه الوضعية الشاذة، هو عدم شيوع المنهج العلمى، والافتقار إلى تقدير العلماء من الأجهزة التنفيذية، حتى لو كان على رأسها حملة دكتوراة جاءوا من الجامعات ومراكز البحوث !

السبب الثاني، وهو نتيجة للسبب الأول، أنه لا توجد لدينا حتى الآن، ورغم كل الكلام عن العلم والتكنولوجيا والحكومة الإلكترونية وما إلى ذلك من شعارات، أي آلية لاستثمار وتوظيف نتائج أبحاثنا العلمية، خاصة التطبيقية منها.

\* \* \*

لذلك، فربما يكون من المناسب، بل الضروري، إنشاء جهاز علمي يتبع رئاسة مجلس الوزراء لكي يكون وثيق الصلة بقمة الجهاز التنفيذي، وليكن هذا الجهاز «المستقل» قائماً بذاته، أو في اتصال مع مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار .

وتكون مهمة هذا الجهاز متابعة الأبحاث والدراسات ذات الطابع التطبيقي، ومركزتها، وتوصيلها إلى الجهات التي يمكن أن تستفيد منها، وربط الباحثين بهذه الجهات، ثم متابعة ما يتم بشأنها بصورة جديدة، بما في ذلك مساءلة هذه الجهات في حالة الإهمال أو التقاعس أو عدم الرد بكلام علمي محدد .

إن ذلك يمكن أن يكون رافعة تربط العلم بالمجتمع والإنتاج .. حتى يسود التفكير العلمي ويقتنع المسؤولون في بلدنا بأهمية علمائنا. وكفانا إهمالاً للعلم، وعشوائية في السلوك والعمل .

هل يسمعي الدكتور أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء، والدكتور عمرو عزت سلامة وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي ؟ .. أرجو وربما يمكن ..